

اليامي



الخوف

www.with-allah.com



د. محمد بن سرّار اليامي
د. عبدالله بن سالم باهمام

الخوف:

(وَيُحَدِّثُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ) [آل عمران: ٣٠]

مفهومه:

والخوف من الله من العبادات القلبية العظيمة، قال تعالى: (إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾) [آل عمران: ١٧٥]، وفي هذه الآية وجوب الخوف من الله وحده، والتأكيد على أنه من لوازم الإيمان؛ فعلى قدر إيمان العبد يكون خوفه من الله.

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، قالت: "سألت النبي ﷺ عن هذه الآية: (وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ)؛ أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟! قال: لا يا بنت الصديق، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون أن لا يقبل منهم" (رواه الترمذي)

دواعي الخوف من الله:

١. إجلال الله جل وعز وتعظيمه لعلمهم به وبأسائه وصفاته، (يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ) [النحل: ٥٠].

٢. الخوف أن يكون مصيره إلى ما يكره، من العذاب الأليم في النار وبئس المصير.

٣. شعوره بالتقصير تجاه الواجبات التي عليه مع إدراكه لعلم الله واطلاعه عليه وقدرته عليه، وعدم النظر إلى صغر المعصية بقدر النظر إلى عظمة من عصي سبحانه.

٤. تدبر كلام الله سبحانه المليء بالوعيد والتهديد لمن عصى الله وأعرض عن شرعه، وترك النور الذي أرسل إليه.

٥. تدبر كلام الله ورسوله والنظر في سيرته ﷺ.

٦. التفكير في عظمة الله جل وعز؛ فإنه من تفكر في ذلك يقع على صفات الله جل جلاله وكبريائه، ومن شهد قلبه عظمة الله

تعالى علم شأن تحذيره فخاف الله لا محالة، قال: (وَيُحَدِّثُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ) [آل عمران: ٢٨]،

وقال جل وعز: (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ

مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ) [الزمر: ٦٧].

الخوف من الله
يستلزم العلم به،
والعلم به يستلزم
خشيتته، وخشيتته
تستلزم طاعته.

٧. التفكير في الموت وشدته، وأنه لا مفر منه:
(قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلْتَاقِكُمْ)
[الجمعة: ٨]، فهذا يوجب الخوف من الله، قال ﷺ:
”أكثروا ذكر هادم اللذات (الموت)؛ فإنه ما ذكره
أحد في ضيق من العيش إلا وسعه عليه، ولا في
سعة إلا ضيقه عليه“ (رواه الطبراني).

٨. التفكير فيما بعد الموت، وفي القبر وأهواله، قال ﷺ:
”كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها ترهد
في الدنيا وتذكر الآخرة“ (رواه ابن ماجه)، وعن البراء
قال: ”كنا مع رسول الله ﷺ في جنازة، فجلس
على شفير القبر، فبكى حتى بل الثرى، ثم قال: يا
إخواني لمثل هذا فأعدوا“ (رواه ابن ماجه)، وقال جل
وعز: (يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفًاؤا رَّبِّكُمْ وَأَحْسَاؤا يَوْمًا لَا
يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَاز عَن وَالِدِهِ
شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا
وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٣٣﴾) [لقمان: ٣٣].

٩. التفكير في عاقبة محقرات الذنوب التي يحقرها
الناس، وقد مثلها النبي ﷺ بقوم نزلوا بطن واد،
فجاء هذا بعود وهذا بعود حتى جمعوا ما أنضجوا
به خبزهم، وهناك ارتباط بين الأعواد وإيقاد النار،
وبين الذنوب وما تسبب من نضج جلود العصاة:
(كَلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ) [النساء: ٥٦].

١٠. أن يعلم العبد أنه قد يحال بينه وبين التوبة بموت
مفاجئ، وأن الحسرة حينها لا تنفع، قال تعالى:
(حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ
﴿٩٩﴾) [المؤمنون: ٩٩]، وقال: (وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ)
[مريم: ٣٩].

١١. التفكير في سوء الخاتمة، قال تعالى: (الْمَلِكَةُ



يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ) [الأفال: ٥٠].

١٢. أن تجالس أناساً يكسبونك خشيةً وخوفاً من الله؛ قال جل وعز: (وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ) [الكهف: ٢٨].

الخوف من الله يتعلق بأمرين:

أ - الخوف من عذابه: الذي توعد به من أشرك معه غيره ومن عصاه وجانب تقواه وطاعته. ب - الخوف من الله: وهو خوف العلماء والعارفين به: (وَيَحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ) [آل عمران: ٢٨]، وكلما زادت المعرفة بالله زادت الخشية منه، قال الله جل وعز: (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) [فاطر: ٢٨]؛ لأنه لما اكتملت معرفتهم بربهم وأسمائه وصفاته آثروا الخوف، ففاض الأثر على القلب ثم ظهر على الجوارح.

من ثمرات الخوف من الله:

أ - في الدنيا:

١. أنه من أسباب التمكين في الأرض وزيادة الإيمان والطمأنينة؛ لأنك إذا حصل لك الموعد وثقت

أكثر، قال جل وعز: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُصْرِكَنَّكُمْ مِنَ الْأَرْضِ أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ) [النور: ١٣-١٤].

٢. يحث على العمل الصالح والإخلاص فيه، وعدم طلب المقابل في الدنيا؛ فلا ينقص الأجر في الآخرة، قال تعالى: (إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا) [النور: ٣٦]، ونحوه: (وَيَذُكَّرْ فِيهَا أَسْمُهُمْ يُسَبَّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ) [النور: ٣٦]، وقال: (فِي بُيُوتِ الَّذِينَ أَنْزَلْنَا اللَّهُ عَلَىٰ رُسُلِهِمْ لِيُحَدِّثُوا إِلَىٰ آبَائِهِمْ وَبَنَاتِهِمْ وَآلِهِمْ وَنَجَاتِهِمْ) [النور: ٣٦]؛ أي: تضطرب وتتقلب، وهذا هو الذي دفعهم للعمل؛ يريدون النجاة، ويحذرون الهلاك، ويخافون أن يؤتوا كتبهم بشمائلهم.

١. يكون العبد في ظل العرش يوم القيامة، قال رسول الله ﷺ: ”..ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال؛ فقال إني أخاف الله..“ (رواه البخاري)؛ وظاهر الحديث أنه يقولها بلسانه ليزجر المرأة عن فعلها، وليذكر نفسه، ويصر على موقفه ولا يتراجع بعد إعلان المبادئ، ”..ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه..“ (رواه البخاري)؛ الخشية الموجبة لدمع العين تؤدي إلى أن النار لا تمس العين يوم القيامة.

٢. أنه من أسباب المغفرة، وشاهد ذلك حديث النبي ﷺ: ”أن رجلاً كان قبلكم رزقه الله مالا، فقال لبنيه لما حضر: أي أب كنت لكم؟ قالوا: خير أب، قال: فإني لم أعمل خيراً قط، فإذا مت فأحرقوني، ثم اسحقوني، ثم ذروني في يوم عاصف؛ ففعلوا فجمعه الله ﷻ، فقال: ما حملك؟ قال: مخافتك، فتلقاها برحمته!!“

(رواه البخاري)، فعذره الله بجهله، وشفع له خوفه من ربه، وإلا فالذي ينكر البعث كافر.

٣. يوصل صاحبه للجنة لأن النبي ﷺ قال: ”من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة“ (رواه الترمذي).

٤. الأمن يوم القيامة قال الله تعالى في الحديث القدسي: ”وعزتي لا أجمع على عبدي خوفين وأمين، إذا خافني في الدنيا أمنتته يوم القيامة، وإذا أمني في الدنيا أخفته يوم القيامة“ (رواه البيهقي).

٥. الدخول فيما وصف الله به عباده المؤمنين في مثل قوله تعالى: (إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنَاتِينَ وَالْقَنَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّابِغِينَ وَالصَّابِغَاتِ وَالْحَفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَفِظَاتِ) [الأحزاب: ٣٥]، فكلها ألفاظ شريفة يُسعى لحيازتها،

قال تعالى: (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾) [السجدة: ١٦]، وقال تعالى: (أَمَّنْ هُوَ قُنُوتٌ ءَأَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾) [الزمر: ٩]، وقال: (وَالَّذِينَ هُمْ مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُّشْفِقُونَ ﴿٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٨﴾) [المعارج: ٧-٨]، وأثنى الله على أقرب عباده، وهم الأنبياء؛ لخوفهم منه: (إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْحَيَرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا) [الأنبياء: ٩٠]، بل الملائكة أنفسهم يخافون ربهم، قال تعالى: (يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾) [النحل: ٥٠].

٦. الرضا من الله تعالى: (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ حَشِيَ رَبَّهُ ﴿٨﴾) [البينة: ٨].

خوف العارفين بالله.

إن العارفين بالله على حسن عملهم ورجائهم بالله جل وعز؛ إلا إنهم يخافون منه تعالى ويخشونه أشد ما تكون الخشية؛ ومن أمثلة ذلك:

- بكائه صلى الله عليه وسلم وهو يصلي حتى يسمع لصدره الشريف صلى الله عليه وسلم عليه وسلم أزيز كأزيز المرجل من البكاء) رواه أحمد وأبو داود والنسائي.

- أبو بكر رضي الله عنه يمسك لسانه ويقول: "هذا الذي أوردني المهالك"، ويقول: "يا ليتني كنت شجرة تؤكل".

- عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: "يا ليتني لم أكن شيئًا مذكورًا، يا ليت أُمِّي لم تلدني"، ويقول: "لو مات جمل ضياعًا على جانب الفرات لخشيت أن يسألني عنه الله يوم القيامة"، ويقول: "لو نادى من السماء: يا أيها الناس إنكم داخلون الجنة كلكم إلا واحدًا لخفت أن أكون أنا هو"!!



- عثمان بن عفان رضي الله عنه يقول: "وددت لو أنني لو مت لم أبعث"،

وهو الذي كان يقطع الليل تسييحًا وصلاةً وتلاوةً.

- أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تقرأ قوله تعالى: (فَمَنْ أَلَّهَ عَلَيْنَا وَوَقَّانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٧﴾) [الطور: ٢٧] في صلاتها فتبكي وتبكي... (إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِنْ تُغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾) [المائدة: ١٨].

أحكام الخوف وتبهيته:

١. الخشية أخص من الخوف؛ فالخشية لمن كان بالله اعلم: (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾) [فاطر: ٢٨]، خوف مقرون بمعرفة، قال النبي ﷺ: "أما والله إني لأتقاكم لله وأخشاكم له" (رواه مسلم)، وعلى قدر العلم والمعرفة بالله وأسمائه وصفاته وكهاله وجلاله والمعرفة به يكون الخوف والخشية.

٢. ينفع الخوف إذا حثَّ على الاجتهاد والعمل والتوبة مع الندم والإقلاع، فالخوف ينشأ من معرفة قبح الجناية والتصديق بالوعيد، ومن معرفة الله الكبير العظيم المتعال، ولا يتصور خوف من الله لا يدعو للعمل والاجتهاد والتوبة.

٣. الخوف من الله واجب من الواجبات وهو من مقتضيات الإيمان، وهو من أجل منازل الطريق وأنفعها للقلب، وهو فرض على كل إنسان، ويمنع منه المعاصي والدنيا والرفقة السيئة والغفلة وتبدل الإحساس.

(إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾) [فاطر: ٢٨]

من خاف الله لم يضره أحد، ومن خاف غيره لم ينفعه أحد
الفضيل بن عياض

مراجعة

١. اذكر وعدد ما يزيد خوفك من الله تعالى.
٢. اذكر ما تعرف من أسمائه وصفاته سبحانه وتعالى التي تجلب الخوف منه.
٣. ماذا ينبغي للخائف من الله أن يفعل؟

